أَسْماءُ المَلِك (الإنْسَان) في القُرآن الكَريم

دِراسَةٌ دلاليَّة

الأُسْتاذ المُسَاعِد الدّكتور
حيدر حسين عبيد
تخصص بلاغة / كلية الإمام الأعظم
قسم اللغة العربية

ملخص البحث باللغة العربية

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه ومَن والاه..

أمَّا بعدُ:

فتتناول هذه الدِّراسة دلالة التَّسميات التي أُطلقتْ على الملك الإنسان في القُرآنِ الكريم، كالمَلِكِ والعزيز والرَّبِّ وفرعون، وتربط الدِّلالة اللغوية لكلِّ لفظٍ منها بالسِّياق الواردة فيه، والمقام الذي قيلت فيه، وذلكَ بعد شَرْحِ كلّ تسميةٍ منها من خلال معجمات اللغة العربيَّة، فهي تُحاول الكشف عن الدِّلالة السِّياقيَّة بعد الكشف عن الدِّلالة المُعجميَّة الوضعيَّة، وصولاً إلى بيان بلاغة كلِّ اسمٍ منها في التَّعبير القُرآنيّ الفريد .

وممَّا توصَّلتْ إليه هذه الدّراسة أنَّ اسم (الملك) قد ورد في سياق بيان التَّملّك والقدرة على التَّصرّف فيما مَلَكَ، والتَّمكين في الأرض.

وخَلَصَتْ إلى أنَّ اسمَ العزيز قد ورد في سياق التَّذلّل، أو في سياق الاشارة إلى أنَّ المُتَحَدَّث عنهُ قد أذلَّ نفسه.

وأنَّهُ لم يرد اسم (فرعون) إلاّ وصفًا لفرعون موسى؛ ولذلك فهو دائمًا يحمل دلالات الظّلم والتَّجبّر والطُّغيان.

وحين أُريد الدّلالة على السُّخرية من المحكومين وبيان ضَعف تدبيرهم وُصِفوا بأنَّ مَنْ يملكهم (امرأة).

ABSTRACT

Praise be to Allah and peace and blessings be upon our messenger Mohammed and his family and allies.

This study deals with names which are used for the kings of the worldly life in the holly Qur'an such as: the king, the lord, the ruler, pharaoh and link each word with its linguistic significance and the place in which it was said. Each name was well-explained by using the lexical Arabic dictionaries. It reveals the textual significance as well as the lexical semantics significance and its eloquence in the unique Qur'anic expression.

The study concluded that the ruler as a name is mentioned in the context of cringing or to say that the (ruler) submitted himself unnecessarily.

The study also concluded that the word (king) has been mentioned in the context to show the possession and ability to act his belongings.

Pharaoh was mentioned only to describe the ruler during Moses's (PBUH) period –thus he is related the tyranny and injustice.

When there was an irony of people to show their foolishness-the description of this was to show that a(woman)rules them.

المُقَدِّمة

الحمدُ لله مَلِكِ المُلوكِ وربِّ الأرباب، والصَّلاةُ والسَّلامُ على قُوتِ القلوب والألباب، سيِّدنا مُحمَّد المُنَزَّل على قلبه الشَّريف آيات الكتاب، وعلى آلهِ عمدة كُلِّ أوَّاب، وأصحابه العُدُولِ الأنْجاب.

أمَّا بعدُ، فإنَّ فكرةَ هذا البحث ليست وليدةَ هذه الأيام، بل كانت في ذهني منذ الدراسات الأوليَّة، حين كتبتُ بحثًا عن سورة يوسف، وكنتُ قد رجعتُ فيه إلى أُمَّات مصادر التّفسير ومراجعه، وحاولتُ جاهدًا أنْ أَعِيَ كلَّ ما فيها، وكلَّما دقَّقتُ النَّظر في آياتها انكشف لي قبسٌ من وجوه الإعجاز في النَّظم القرآنيّ العظيم، ومن الألفاظ التي لفتت انتباهي في تلك السّورة (الربّ، والعزيز، والملك)، فكلّ المفسِّرين يُفسِّرونها تفسيرًا واحدًا، هو المَلِك، فالألفاظ مختلفةٌ والمعنى واحدٌ، وليس في القرآن العظيم مِنْ مُترادفات، إنَّما كُلّ لفظٍ فيه مُختارٌ بدقَّةٍ ليس لها مِنْ نظير.

وقد بحثتُ عن دراسة تتناول هذه الألفاظ وتُبيِّن علاقة كلّ لفظٍ منها بالسِّياق فلم أجد دراسة تستقلّ بذلك، غير أنِّي وجدتُ أُستاذنا الدكتور فاضل السَّامرائي قد قال في مقدمة أحد كتبه: «وقرأتُ في اختيار التَّعبير القرآني لبعض الكلمات التاريخيّة كـ(العزيز) في قصّة يوسف، وكاختيار تعبير المَلِك في القصّة نفسها، واختيار كلمة (فرعون) في قصة موسى، فعرفتُ أنَّ هذه ترجمات دقيقة لما كان يُستعمل في تلك الأزمان السَّحيقة، فـ(العزيز) أدقّ ترجمة لمن يقوم بذلك المنصب في حينه، وأنَّ المصريين القدامى كانوا يُفرِّقون بين الملوك الذين يحكمونهم فيها إذا كانوا مصريين أو غير مصريين، فالمَلِكُ غير المصريّ الأصل كانوا يسمّونه الملك، والمصريّ الأصل يسمّونه فرعون، وأنَّ الذي كان يحكم مصر في زمن يوسف عليه السلام غير مصريّ، وهو من الهكسوس فسمَّاه الملك، وأنَّ الذي كان يحكمها في زمن موسى عليه السلام هو مصريّ فسمَّاه فرعون، فسمَّى كلَّ واحدٍ بما كان يُسمَّى في الأزمنة السحيقة»[1].

ثُمَّ ذكر بعد ذلك أنَّ هذا من الإعجاز التاريخيّ، وأنَّ الإعجاز القرآنيّ متعدد النواحي، وأنَّ عمل اللُغويّ أن يُبيِّنَ مظاهر إعجازه اللغويّ[2].

---

(١) لمسات بيانية: ٧ .

(٢) ينظر: لمسات بيانية: ٨ .

ولم أجد أستاذنا الدكتور فاضل قد تناول تلك الكلمات بالدراسة؛ ولذلك فقد عقدتُ العزمَ على دراسة دلالة هذه الأسماء في ضوء السياق الواردة فيه، والمقام الذي قيلت فيه، واخترتُ لهذه الدراسة عنوانًا هو: (أَسْماءُ المَلِكِ «الإنْسَان» في القُرآن الكَريم -دراسَةٌ دلاليَّة-)، واقتصرتُ في هذه الدراسة على الألفاظ التي استُعملت للدلالة على الملوك من البشر، وأهملتُ ما عداها كالخليفة، وما يشاكلها من ألفاظ، ولم تكن دراستي محصورةً في سورة يوسف، فقد وجدت (الملك) قد ورد في سورتي البقرة والنَّمل أيضًا، كما ورد فرعون في كثير من السّور، وعدل القرآنُ الكريم عن تسمية الملكة إلى امرأة في سورة النَّمل .

وبعد أن أحصيتُ تلك الألفاظَ وجدتها على النَّحو الآتي: (الملك، العزيز، الرَّب، فرعون، امرأة)، فجعلتُ لكلٍّ واحدة منها مبحثًا خاصًّا؛ ولذلك فقد اشتملتْ خطّة هذا البحث -بعد المُقدِّمة- على خمسةِ مباحث:

المَبْحَثُ الأوَّل: المَلِك.

المَبْحَثُ الثَّاني: العَزيزُ .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: الرَّبُّ .

المَبْحَثُ الرابع: فِرْعَون .

المَبْحَثُ الخامس: امرأة .

ثُمَّ الخاتمة التي اشتملت على النتائج .

وكان منهجي في هذه الدراسة أنَّني أتناول دلالة اللفظة في معجمات اللغة أوّلاً، ثُمَّ أتناول بالدراسة مواضعها في الآيات الكريمة، مُحاولاً ربط دلالة اللفظة المعجميَّة بالسِّياق الواردة فيه، وصولاً إلى بيان شيءٍ من دقّة النَّظم القرآني المُعْجِز، ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[1].

وصلَّى اللهُ على سيِّدنا مُحمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم ..

الباحث

(١) سورة الكهف، الآية :١٠٩.

المبحث الأوَّل: المَلِك

المطلب الأول:
تَعْريفُ المَلِك لُغةً واصطلاحًا

قال ابن فارس: « الْمِيمُ وَاللَّامُ وَالْكَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ وَصِحَّةٍ، يُقَالُ: أَمْلَكَ عَجِينَهُ: قَوَّى عَجْنَهُ وَشَدَّهُ، وَمَلَّكْتُ الشَّيْءَ: قَوَّيْتُهُ ...وَالْأَصْلُ هَذَا، ثُمَّ قِيلَ: مَلَكَ الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ يَمْلِكُهُ مَلْكًا، وَالِاسْمُ الْمُلْكُ؛ لِأَنَّ يَدَهُ فِيهِ قَوِيَّةٌ صَحِيحَةٌ، فَالْمُلْكُ: مَا مُلِكَ مِنْ مَالٍ»[1].

ومَلَكَ الشَّيءَ وامتلكَهُ وتَمَلّكَهُ، وهو مالِكُهُ وَأَحَدُ مُلاّكه، وهذا ملكُهُ وملْكُ يده، وهذه أملاكه[2]، والمُلْك: اسْمٌ يَجمع مَا يحويه المَلِكُ؛ وسُمّي الملِك مَلِكًا بذلك[3]، وَقَالَ الرّاغِبُ: «المَلِكُ: هو المُتَصَرِّفُ بالأمر والنّهي في الجمهور، وذلك يختصّ بسياسة النّاطقين»[4]، وأضاف أَبُو البَقاء الكفويّ إلى تلك المعاني معنى آخر، فقال: « كلُّ مَنْ لَا تدخل عَلَيْهِ إِلَّا بِإِذْنِه فَهُوَ مَلِكٌ»[5]، وإضافة الكفويّ هذه ليست تعريفًا للملك كما هو ظاهر ، ولكنَّها إشارة إلى أحدى علامات الملك، وما يجبُ له .

إذن كلمة الملك تتضمَّن معاني القوَّة، والتَّمكّن، والتَّصرّف، والقدرة على تدبير ما مَلَك، والهيبة، وثبوت ما ملك ودوامه .

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٥/ ٣٥٢ .

(٢) أساس البلاغة: مادة (ملك): ٢/ ٢٢٧ .

(٣) جمهرة اللغة: مادة (كلم): ٢/ ٩٨١ .

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٧٧٤ .

(٥) الكليات: ٨٠٣ .

المطلب الثاني:
مواضِعُ ورود كلمة (الملك)
الدَّالة على الإنسان في القرآن الكريم:

وقد ورد الملك في القرآن الكريم وأُريد به الإنسان عشر مرات[1]، اثنان منها كانت مُضافة إلى لفظٍ آخر، والباقي منفردة، وفيما يأتي بيانها:

الموضع الأول:

أوَّل تلك المواضع ما ورد على لسان بلقيس بعد أن أرسل إليها سيّدُنا سليمان عليه السلام كتابَه مع الهدهد، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[2]، أي: ولَّما وصل إلى بلقيسَ كتابُ سيّدنا سليمان عليه السلام، ورأتْهُ لا على يدِ رجُلٍ بل على طائرٍ، استعظمت مُلْكَ سليمان، وعلمت أنَّ مَنْ سُخِّر له الطيرُ حتى يرسلَه بأمرٍ خاصٍّ إلى شخصٍ خاصٍّ مُغلقٍ عليه الأبواب، غير ممتنعٍ عليه تدويخ الأرض وملوكها، فأخبرت بحال المُلوك وعاداتهم، فذكرت أنَّ الملوكَ إذا تغلَّبوا على بلدٍ ما خَرَّبوها بالهدم والحرقِ والقَطْع، وأذلّوا أعزة أهلها بالقتل والنَّهب والأسر، فمالتْ إلى مُهاداته، والهديَّة هي العطيَّة على طريق المُلاطفة، وإنَّما فعلت بلقيس ذلك؛ لأنَّها كانت امرأة لبيبة، قَدْ سِيْسَت وساسَت، فقالت للملأ مِنْ قومها: إنِّي مرسلةٌ إلى سليمان وقومه بهديةٍ أُصانِعُهُ بها عن مُلكي، وأختبره بها أمَلِكٌ هو، أم نبيّ؟ فإن يكن مَلِكًا قَبِلَ الهديَّة وانصرف، وإنْ كان نبيًّا لم يقبل الهدية، ولم يُرضِه منَّا إلا أن نتَّبعه على دينه[3].

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٦٧٣-٦٧٦ .

(٢) سورة النمل، الآيات: ٢٩ – ٣٥.

(٣) ينظر: معالم التنزيل: ٣/ ٥٠٢، والبحر المحيط: ٨/ ٢٣٧ .

وقد ذكر الفيروز آبادي أنَّ المراد بالملك هنا التَّمَلّكُ والتَّوَلي[1]، يعني: إذا تَمَلَّكَ الملوكُ وتولَّوا فعلوا ما فعلوا من الإفساد والتَّخريب .

والذي أراه أنَّ هناك غاية من الإتيان بلفظ الملك تترتَّبُ عليها دلالات تتَّضح في الآتي:

١- أنَّ بلقيس سمَّتهم ملوكًا؛ لأنَّها في سياق بيان القدرة والتَّملّك وتمام التَّصرّف في ما يملكون من التَّخريب والإفساد، والإعزاز والإذلال؛ وذلك مُبالَغَةً في تحذير قومها، كأنَّها تقول لهم: إذا دخلوا بلدَنا عنوةً صرنا كلّنا مُلكًا لهم، فالمَلِكُ يدُه مُطلقةٌ في ملكه، يفعل فيه ما يشاء؛ وذلك أبلغ في تحذير قومها وتنبيههم .

٢- أنَّها لم تَقل هذا الملك، وإنَّما قالت: (الملوك) تأدّبًا مع سيِّدنا سليمان عليه السلام؛ لتُبقي احتمال كونه نبيًّا واردًا، فلم تُوجِّه إليه الكلام مباشرة؛ لئلا تُسيء إليه إن كان نبيًّا، ولم تصرف الكلام إلى غيره تمامًا؛ لأنَّها لم تستيقن بَعْدُ من نبوَّته .

إذن: دلَّ اختيارُها لفظَ المُلوك هنا على سمةٍ عامَّة، أو قاعدة عامَّة لكلِّ مَلكٍ، وهي أنَّهُم يستعرضون كلّ قواهم، ويُظهرون كلّ شدَّتهم عند دخول البلدان؛ ليبسطوا سيطرتهم ويُدخلوا الرُّعبَ في قلوب النَّاس ليتمكَّنوا منهم، ويتصرَّفوا فيهم كما يتصرّف العاجنُ بعجينه-الذي يملك عجينه-، حين يجعل أعلاهُ أسفلَه، وأسفلهُ أعلاه، وهذا أصلُ المَلْك -كما تقدَّم-، والقرينةُ التي تُعيننا على هذه الدلالة أنَّ بلقيس قالت:﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗ﴾، والعزيزُ من النَّاس كمثال العجين الذي يكون في الأعلى، فَجَعْلُهُ سافلاً ذليلاً كجعْلِ العجين الذي في الأعلى في الأسفلِ بالمَلْكِ .

٣- أنَّها قالت ذلك لقومها وأشارت إلى وصْفِه بالمَلِكِ افتراضًا، فدلَّ وصفُهُ بالملك على عدم استيقانها من حقيقة دعوته، فكأنَّها تقول: إنْ كان ملكًا ودخل ديارَنا أفسدَها، وإنْ لم يكُ ملكًا بل نبيًّا فليس مِنْ شأنه الإفساد، بل منهجُهُ الإصْلاح والإعمار.

٤-أنَّها أشارت إلى كونه من الملوك؛ لِمَا رأتْ من قوَّةِ كلامه الدّالّ على التَّمكّن وقوة التصرّف، حين قال بلهجة الواثق: ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾، فكأنَّها بهذا الكلام أرادت أن تقولَ لقومها: إنَّ ظَّاهر كلام هذا الرَّجل يدلّ على أنَّهُ قويّ مُتصرِّف .

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤/ ٥٢٠، وتاج العروس: (ملك): ٢٧/ ٣٤٦.

الموضع الثَّاني:

وهو أيضًا من إطلاق المَلِك في سياق ذكر التصرف، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾[1]، قال الرّازيّ: «إنَّ مُرَادَ ذَلِكَ الْعَالِمِ مِنْ هَذَا الْكَلَام: أَنَّهُ مَا كَانَ مَقْصُودِي مِنْ تَخْرِيقِ تِلْكَ السَّفِينَةِ تَغْرِيقَ أَهْلِهَا، بَلْ مَقْصُودِي أَنَّ ذَلِكَ الْمَلِكَ الظَّالِمَ كَانَ يَغْصِبُ السُّفُنَ الْخَالِيَةَ عن العيوب، فَجَعَلْتُ هَذِهِ السَّفِينَةَ مَعِيبَةً لِئَلَّا يَغْصِبَهَا ذَلِكَ الظَّالِمُ، فَإِنَّ ضَرَرَ هَذَا التَّخْرِيقِ أَسْهَلُ مِنَ الضَّرَرِ الْحَاصِلِ مِنْ ذَلِكَ الْغَصْبِ»[2].

ويبدو أنَّه لَمَّا كان في سياق بيان تسلّط ذلك الملك فإنَّه سمَّاه ملكًا؛ ليدلَّ على مايأتي:

١-ليشير إشارة خفيَّة إلى مدى حبِّه للتملك؛ لأنَّ المَلِك لابدّ له من مُلكٍ، حتى أنَّه وصفه بأنَّه لايتورّع عن أخذ أيّ سفينة صالحة، وإن كان أهلها مساكين أو فقراء، فهو يأخذ كلّ سفينة صالحة بغضّ النظر عن حالِ مالكها.

٢-ليدلّ على أنَّ ذلك الملك قد أطلَقَ لنفسه العنان للتَّصرّف في النَّاس بلا وجه حقٍّ، قال الطَّاهر ابن عاشور في وصفه: «هو مَلِكُ بلادهم بالمرصاد منهم ومن أمثالهم يُسَخِّر كلَّ سفينةٍ يجدها غصبًا؛ أي: بدون عوض، وكان ذلك لنقل أمور بناء، أو نحوه ممَّا يستعمله المَلِكُ في مصالحِ نفسه وشهواته، كما كان الفراعنةُ يُسَخِّرون النّاسَ للعمل في بناء الأهرام»[3].

٣-ليدلّ على شدَّته وعدوانه، ويؤيِّدهُ أنَّ ذلك الملكَ كان ممَّن ضُرِبَ به المثلُ في الاعتداء، وجرى المْثل -قديمًا- بظلمه فَقَالُوا: « أَظْلَمُ مِن الجلندي»[4].

٤-ليدلَّ على رغبته في إحكام قبضته على النَّاس وطمعه في كلِّ شيء حَسَن، وهو حين يطمع فإنَّما يطمع في السُّفن الجِياد، وهكذا هو طمعُ المُلوك، إذ لا يطمعون بالمَعيب من الأشياء، أو ما فيه أدنى عيبٍ، ومن القرائن الدَّالة على هذا المعنى أنَّ المفسّرين والبلاغيّين قد ذكروا أنَّ في الكلام حذفًا،

(١) سورة الكهف، الآية : ٧٩.

(٢) مفاتيح الغيب: ٢١/ ٤٩٠ .

(٣) التحرير والتنوير: ١٦/ ١١ .

(٤) ثمار القلوب: ١٨٣، ومحاضرات الأدباء: ١/ ٢٧٢ .

والتقدير: كلّ سفينةٍ صحيحةٍ، أو صالحة، أو نحو ذلك[1]، وقد وجَّه الدكتور أحمد بدوي ذلك الحذف بقوله: «لدلالة الآية على هذه الصفة، فإنَّ عيب السفينة لا يُخرجها عن أنْ تكون سفينة، وقد أوحى إلينا هذا الحذفُ، بأنَّ الملكَ ينظر إلى السفينة المعيبة، كأنَّها فقدت حقيقتها»[2]؛ أي: إنَّ السفينة المعيبة في عُرف ذلك الملك لا تُسمَّى سفينةً أصلاً حتى تؤخذ .

الموضعان الثَّالث والرَّابع:

وهو في سياق ذكر بحث بني إسرائيل عن ملك قويّ ليقودهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3]، كَانَ قوام بني إسرائيل بالإجماع عَلَى الْمُلُوكِ، وطاعة المُلوك أنبياءهم، فَكَانَ الْمَلِكُ يَسِيرُ بِالْجُمُوعِ، وَالنَّبِيُّ يُسَدِّدُهُ وَيُرْشِدُهُ، ويُقَوِّم له أمره ويأتيه بالخبر من ربِّه، يعني: كانت لهم قيادتان، قيادة روحية بيد الأنبياء، وقيادة عسكريَّة بيد الملوك، فأصابهم البلاء زمنًا، وذلك أنَّ جالوت رأسَ العمالقةِ وملكهم هو وقومه قد ظهروا على بني إسرائيلَ، وأخذوا ديارَهم وسبَوْا أولادهم، وضربوا عليهم الجزيةَ، وأخذوا توراتَهم، فقالوا لنبيهم: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فقال لهم: إنَّه ليس عندكم وفاءٌ، ولا صدقٌ، ولا رغبةٌ في الجهاد، فقالوا: إنَّما كنَّا نهابُ الجهاد ونزهد فيه، أنَّا كنَّا ممنوعين في بلادنا لا يطؤها أحد، والحال أنَّه قد عَرَض لنا ما يوجب القتالَ إيجابًا قويًّا، من الإخراج عن الديار والأوطان، والاغترابِ من

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ٢/ ٥٩٨، وجامع البيان في تأويل القرآن: ١٨/ ٦٧، ومعاني القرآن للزجاج: ٣/ ٣٠٥، والانتصار للقرآن: ٢/ ٤٢٤، والكشاف: ٢/ ٧٤١، والمحرر الوجيز: ٣/ ٥٣٥، والمثل السائر: ٢/ ٢٤٧، والإيضاح في علوم البلاغة: ٣/ ١٠٧ ، والشفاء في بديع الاكتفاء: ٣١ .

(٢) من بلاغة القرآن: ٩٩ .

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٢٤٦ – ٢٤٧ .

الأهل والأولاد، وإفرادُ الأبناء بالذكر لمزيد تقوية أسبابِ القتال، فأوحى اللهُ إلى نبيهم أنَّه اختار لهم طالوت ليكون عليهم مَلِكًا[1].

فكان جواب هؤلاء: إنَّه لا يستحِقُّ التملكُ؛ لوجود من هو أحقُّ منه؛ ولعدم امتلاكه ما يتوقف عليه المُلكُ من المال، قيل: كان راعيًا، وقيل: دبّاغًا، وقيل: سَقّاءً[2].

وعليه فيبدو لي أنَّهم سمَّوه ملكًا لِمَا يأتي:

-أولاً: جريًا على الأصل .

-ثانيًا: لأنَّهم قومٌ قد أصابهم الذلّ، فهم يريدونه قويًّا له ملكٌ وسطوة، ويستطيع أن يتملك بالقتال، فيعيشوا في ظلِّه في عزٍّ ومَنَعة.

ويترتَّبُ على ذلك أنَّهم أرادوا بكلمةِ الملك كلَّ ما تحمله تلك اللفظة من معانٍ ودلالات، فقد أرادوا القوَّة في السّلطة وصحّتها وتمامها، يدلُّنا على ذلك أنَّهم حين سُئلوا عن استعدادهم للقتال، فإنَّهم أجابوا: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا﴾، وهذا القول:

أ- يُشير إلى أنَّهم كانوا ضعفاء وبهم حاجة إلى القوّة التي ستكون موجودة عند وجود المَلِك.

ب- يُصرِّحُ بأنَّهم فقدوا ما كانوا يملكونه، وأعزّ ما يملكه الإنسان الدَّار، فمن كان بلا دارٍ فهو بلا ملك؛ ولذلك فهو يبحثُ عن الملك .

وأمَّا قول نبيّهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗا﴾، فهو لم يكن قد صار ملكًا بعدُ، والمعنى اختار لكم طالوت فاجعلوهُ ملكًا؛ فَدلَّت كلمة المَلِك هنا على أنَّ اللهَ قد أعطاه ما يؤهِّله ليكونَ مَلِكًا، ووهبه ما يقومُ به المُلْكُ مِنْ قوَّة الجسم والعِلْم، والقدرة على تدبير ما ملك، والهيبة الجسمانيّة والمعنويّة، وأباح له أنْ يكون مُتصرِّفًا بالأمر والنَّهي فيهم .

الموضع الخامس:

وهو في سياق ذكر امتنانه سبحانه على بني اسرائيل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[3].

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١/ ٢٣٩ .

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ١١/ ١٥٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/ ٦٦٦ .

(٣) سورة المائدة ، الآية: ٢٠ .

قال الطبري: «يعني بذلك جل ثناؤه: أنَّ موسى ذكَّر قومَه مِنْ بني إسرائيل بأيَّام الله عندهم، وبآلائه قبلهم، مُحَرِّضهم بذلك على اتِّباع أمر الله في قتال الجبارين، فقال لهم: اذكروا نعمةَ الله عليكم أنْ فضّلكم، بأنْ جعل فيكم أنبياء يأتونكم بوحْيه، ويخبرونكم بأنباء الغيب، ولم يُعطِ ذلك غيرَكم في زمانكم هذا...﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ سَخَّر لكم مِنْ غيركم خدمًا يخدمونكم»[1].

إذن كلمة (الملوك) في هذا الموضع أُطلقت على سبيل التَّشبيه البليغ[2]، والمُرادُ: جَعَلَكُمْ كالملوكِ مُنَعَّمِيْنَ مَخدومين، لكنَّه حين حذف أداة التَّشبيه ووجه الشَّبه فقد أوحَى باتِّحاد المشبَّه بالمُشَبَّه به حتى كأنَّهما صارا شيئًا واحدً، وكأنَّهُ جَعَلَهم مُلوكًا على الحقيقة، فكلمة (الملوك) على قولِ الطَّبريّ تدلّ على التَّنَعُّم والتَّرف والرَّاحة .

وهناك أقوالٌ أُخرى في كيفيَّة جَعْلهم مُلُوكًا، تصلُ إلى سبعة أقوال[3]، أشهرها قولان: أحدهما: يعني أغنياءَ، أغنى بعضَهم عن بعضٍ، وسخَّر لهم النِّعم، وجَعَلَ لهم بيوتًا وخَدَمًا[4]. والآخر: مُلوكًا على الحقيقة؛ لأنَّ المُلْك شَرَفٌ في الدنيا، أو جعل منهُم أمراء[5].

وقد ذكر المفسِّرون عللاً متقاربة للتَّعبير بالملوك هنا، أوردُها فيما يأتي مُحاولاً بيان الأثر الدلالي الذي يترتَّب على كُلٍّ منها:

١- قال الغرناطي: « لتذكيرهم بضروبٍ من الآلاء والنِّعم الجسام، مِنْ جَعْلِ الأنبياء فيهم وجَعْلِهم مُلوكًا، وإعطائهم ما لم يُعطِ غيرهم، وكان ذلك تعريفًا باعتنائه سبحانه بهم وتفضيلهم على من عاصرهم وتقدَّمهم من أمم الأنبياء قبلهم»[6].

وبهذا تكون كلمة الملوك هنا قد دلَّت على عِظَمِ ما أُوتوه من النِّعم حتى فاقوا بها مَنْ سواهم

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن: ١٠/ ١٦٠ .

(٢) التشبيه البليغ: هو ما حذفت فيه الأداة، ووجه الشبه، وهو أعلى أقسام التَّشبيه رُتبةَ. ينظر: المُطَوَّل: ٥٦٣، وجواهر البلاغة: ٢٤٢، و البلاغة العربية للميداني: ٢/ ١٧٣ .

(٣) ينظر: زاد المسير: ١/ ٥٣١ .

(٤) ينظر: تفسير مجاهد: ٣٠٤، وبحر العلوم: ١/ ٣٨١، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣١٤.

(٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل:١/ ٢٢٦، والكشاف: ١/ ٦٢٠، والبحر المحيط: ٤/ ٢١٥، والجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٦٧، والبحر المديد: ٢/ ٢٤ .

(٦) ملاك التأويل: ١/ ١٢٦ .

وهكذا هو شأن الملوك، وبهذا صاروا ملوكًا على النَّاس.

٢- قال أبو حيان: «لأنَّ الْمُلْكَ شَرَفٌ فِي الدُّنْيَا وَاسْتِيلَاءٌ، فَذَكَّرَهُمْ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَادَةَ الْآخِرَةِ وَقَادَةَ الدُّنْيَا»(١).

وعلى هذا التَّوجيه فإنَّ كلمة الملوك تدلّ على معاني القوَّة والتَّمكّن، وثبوت مُلكهم ودوامه.

٣- قال الفيروز ابادي: «فجعل النبوّة مخصوصة، والمُلْك فيهم عامًّا؛ فإنَّ معنى المُلْك هاهنا هو القوَّة التي بها يُتَرَشَّح للسياسة، لا أنَّهُ جَعَلَهُم متولِّين للأمر، فذلك منافٍ للحكمة؛ كما قيل: لا خيرَ في كثرة الرّؤساءِ»(٢)، وعلَّل ذلك بأنَّ تراكيبه الستَّة مستعملة مُعطِية معنى القوّة والشدّة(٣).

والذي أراه في دلالة لفظ الملوك أنَّه لا يمتنع تفسيره بحسب الظاهر؛ أعني: مُلُوكًا على الحقيقة- فقد قال به جماعةٌ من المفسرين، وله ما يؤيّده من القرآن الكريم، فقد ذكرتُ في قصة طالوت(٤) أنَّ بني إسرائيل كانتْ لهم قيادتان؛ قيادة دينيّة بيد الأنبياء، وقيادة عسكريَّة بيد المُلُوك، ولعلَّه حين قرنهما هنا أراد الإشارة إلى ذلك المعنى .

فَالملك يمثِّل صورة النَّعيم الدنيوي، والنَّبوة صورة النعيم الآخرويّ، فكأنَّه سبحانه يريد تذكيرهم بأنَّه قد حاز لهم نعيمَ الدنيا بالملوك القادة، فهم مصادر القوة والمَنَعة، ونعيمَ الآخرة بالأنبياء الذين يتَّبعونهم، فحفظ بذلك لهم دنياهم وأُخراهم، وذلك أعظمُ النَّعيم والتكريم.

الموضع السَّادس:

وقد تكرَّر ذكر الملك في سورة يوسف، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾(٥)، والرَّائي هنا هو مَلِكُ مصر الأعْظم(٦).

---

(١) البحر المحيط: ٤/ ٢١٥ .

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤/ ٥٢٠.

(٣) المصدر نفسه : ٤/ ٥٢٠.

(٤) ينظر: ص١٠ من هذا البحث .

(٥) سورة يوسف، الآية: ٤٣.

(٦) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية للقيسي: ٥/ ٣٥٨٦ .

قال السمعاني: «الْملك هَاهُنَا: مَلِكُ مصر، وَالْملك هُوَ الْقَادِر الْوَاسِع الْمَقْدُور فِيمَا يرجع إِلَى السياسة وَالتَّدْبِير»[1].

وقد ذكر الطاهر ابن عاشور أنَّ تسميته بالملك هنا دون فرعون إنَّما هو من باب الإعجاز التَّاريخي، فقال: « وَالتَّعْرِيفُ فِي الْمَلِكُ لِلْعَهْدِ؛ أَيْ: مَلِكُ مِصْرَ، وسمَّاهُ القرآن هنا مَلِكًا وَلَمْ يُسَمِّهِ فِرْعَوْنَ؛ لِأَنَّ هَذَا الْمَلِكَ لم يكن من الفراعنة ملوك مصر القبط، وإنَّما كان ملكًا لمصر أيَّام حكمها (الهكسوس) وهم العمالقة، وهم من الكنعانيين، أو من العرب، ويعبِّر عنهم مؤرخو الإغريق بمُلوك الرّعاة؛ أي: البدو. وقد ملكوا بمصر من عام ١٩٠٠ إلى عام ١٥٢٥ قبل ميلاد المسيحعليه السلام. وكان عصرهم فيما بين مدة العائلة الثالثة عشرة والعائلة الثامنة عشرة من ملوك القبط، إذ كانت عائلات ملوك القبط قد بقي لها حكمُ في مصر العليا في مدينة (طيبة) كما تقدم عند قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ ﴾[2]، وكان مُلْكُهم في تلك المدة ضعيفًا؛ لأنَّ السيادة كانت لملوك مصر السُّفلى. ويُقَدِّر المؤرخون أنَّ ملك مصر السفلى في زمن يوسف عليه السلام كان في مدة العائلة السابعة عشرة، فالتَّعبير عنه بالمَلِكِ في القرآن دون التعبير بفرعون -مع أنَّه عبر عن ملك مصر في زمن موسيعليه السلام بلقب فرعون- هو من دقائق إعجاز القرآن العلمي. وقد وقع في التوراة إذ عبَّر فيها عن مَلِكِ مصر في زمن يوسف عليه السلام فرعون، وما هُوَ بفرعَون» [3].

إنَّ الإعجاز التَّاريخيّ نوعٌ من أنواع الإعجاز القرآني الثَّابت، لكنَّ القُرآن الكريم نزل على العرب، وبلُغتهم، والعربُ آنذاك لم يكونوا يعرفون شيئًا من التَّاريخ القديم، ولم تكن قد تهيَّأت لهم الآلاتُ- كالكتب والتنقيب- التي بها يطَّلعون عليه، هذا من جانبٍ، ومن جانبٍ آخر، فإنَّ هذه الدِّراسة موضوعها الدّلالة اللغويّة في ضوء السِّياق، فلا تكتفي بالإعجاز التاريخيّ ولا العلميّ، وإنَّما تتجاوزهما إلى الإعجاز اللغوي، فلابُدَّ من مُحاولة كشف شيءٍ منه.

والذي يبدو لي أنَّه سمَّاه ملكًا لِمَا يأتي:

١-جَرْيًا على الأصل والحقيقة، فهو مَلِكٌ حَقًّا.

---

(١) تفسير القرآن للسمعاني: ٣/ ٣٤ .

(٢) سورة يوسف، من الآية : ٢١ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٢/ ٢٨٠.

٢-لبيان أهمِّيَّة الرّؤيا، أو للإشارة إلى أنَّها رؤيا مَلَكيَّة، والنَّاسُ من عاداتهم أن يُقيموا لكُلِّ ما يخصّ المَلِك وزنًا خاصًّا.

٣-لأنَّ الرؤيا تضمَّنت زوال شيءٍ من المُلْكِ الحَسَن، وهو كون البقرات الهزيلات يأكُلْنَ السِّمان الجِياد، والمَلِكُ حريصٌ على كلِّ شيءٍ ذي قيمة، وهو حريصٌ على مُلْكِه .

٤-للإشارة إلى أنَّه سبحانه حين يريد أن يُفرِّجَ عن أحدٍ يُسخِّر له من بيده القدرة على تصريف الأمور، وهو أعلى سلطةٍ حاكمة، وذلك الملك كان على تلك الصّورة .

٥-أنَّه لم يُسَمِّه فرعونَ؛ للدّلالة على أنَّه كان رجُلاً عاقلاً حكيمًا عادلاً، وهناك قرائنُ على ذلك، منها، أنَّه حين سمع تأويل سيِّدنا يوسف عليه السلام لرؤياه لم يتشاءم منه، ولكنَّه أصدَرَ في الحالِ أمرًا مَلَكيًّا بتقريبه للانتفاع منه، فقال: ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦٓ﴾[١]، ثُمَّ قال: ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[٢]، ثُمَّ جَعَلَهُ على خزائن الأرض وسلَّمها إيَّاه، هذا يعني أنَّه سلَّمَه نفسَه وبلادَه، إذ لاحياةَ للبلدان بلا اقتصادٍ سليم، وهذا يعني بالضَّرورة أنَّه كان عاقلاً حكيمًا لبيبًا يعرفُ قيمة الرِّجال .

أمَّا فرعون فقد رأى رؤيا أيضًا، وفُسِّرت له بأنَّه سيولد مولودٌ يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه، فلهذا أمر بقتل الغلمان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٣]، وقد ذكر المُفسِّرون أنَّ فرعون كَانَ رَجُلًا طَيَّاشًا خَفِيفًا[٤]، وقد ارتبط ذكرُه في القرآن الكريم بالظُّلم والطُّغيان، حتى صار مضرَبًا للمَثَل في ذلك كُلِّه .

الموضع السَّابع:

وهو أيضًا في سورة يوسف، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ

(١) سورة يوسف، من الآية: ٥٠ .

(٢) سورة يوسف، من الآية: ٥٤ .

(٣) سورة القصص، الآية : ٤ .

(٤) تفسير الماتريدي: ١٠/ ٤٠٩، والكشاف: ٤/ ٦٩٦، ومفاتيح الغيب: ٣١/ ٤١، ومدارك التنزيل: ٣/ ٥٩٨ .

﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[1]، وقولُ المَلك هذا كان بعد أن جاءه صاحبُ شرابه من سيِّدنا يوسف عليه السلام بتعبير الرؤيا، ولَّما عَرَضَ عَلَيْهِ التَّعْبِيرَ الَّذِي ذَكَرَهُ يُوسُفُعليه السلام اسْتَحْسَنَهُ، فقال الْمَلِكُ: ائْتُونِي بِهِ، فَعَادَ الشَّرَابِيُّ إِلَى يُوسُفَ عليه السلام فقَالَ أَجِبِ الْمَلِكَ، فَأَبَى يُوسُفُ عليه السلام أَنْ يَخْرُجَ مِنَ السِّجْنِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَنْكَشِفَ أَمْرُهُ، وَتَزُولَ التُّهْمَةُ بِالْكُلِّيَّةِ عَنْهُ[2].

وقد اختلف المفسرون في هذا الملك، فمنهم مَنْ قال: هُوَ الْعَزِيزُ[3]، ومنهم مَنْ قَالَ: بَلْ هُوَ الرَّيَّانُ الَّذِي هُوَ الْمَلِكُ الْأَكْبَرُ[4]، وقد رجَّح الرازيُّ القولَ الثاني؛ لأمرين: أحدهما: أَنَّ قَوْلَ يُوسُفَ: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾[5] يَدُلُّ عَلَيْهِ. والآخر: أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ٱسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾[6] يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا كَانَ خَالِصًا لَهُ، وَقَدْ كَانَ يُوسُفُعليه السلام قَبْلَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلْعَزِيزِ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ هَذَا الْمَلِكَ هُوَ الْمَلِكُ الْأَكْبَرُ[7].

والذي أراهُ أنَّه سمَّاهُ الملك لأمرين:

أحدهما: للعهد؛ أي: للإشارة إلى أنَّه هو المَلِكُ صاحب الرؤيا المذكور سلفًا نفسُه .

والآخر: بما أنَّ الآية بيَّنت صبرَ سيّدنا يوسف عليه السلام وقوة عزيمته، فإنَّها أرادت القول: إنَّ يوسفَ مع كونه سجينًا مظلومًا، به حاجة إلى من يُخفِّف عنهُ، ومعَ أنَّ مَنْ أرسلَ إليه ملكٌ بيده مقاليد الأمور جميعها، يملك كلَّ شيء، وأمْرُهُ أمرٌ مَلَكيٌّ لايقبل الرَّدّ أو التأجيل، ومعلومٌ أنَّ مَنْ يُرسل إليه الملكُ وهو راضٍ عنه يكون في غاية الفرح والسرور طلبًا للغنيمة، فكيف بمن به حاجة شديدة إلى أيِّ إعانة!، مع ذلك كُلِّه فإنَّ سيّدنا يوسف عليه السلام لم يُبادر إلى إجابته؛ وطلب منه

(١) سورة يوسف، الآية : ٥٠.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٨/ ٤٦٦ .

(٣) المصدر نفسه : ١٨/ ٤٦٦ .

(٤) ينظر: جامع البيان: ١٦/ ١٤٧، والهداية للقيسي: ٥/ ٣٥٨٦، والنكت والعيون: ٣/ ٢٥ .

(٥) سورة يوسف، من الآية : ٥٥ .

(٦) سورة يوسف، من الآية : ٥٤ .

(٧) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٨/ ٤٦٦ .

التحقيق فيما اتُّهم به، وتحقيق الملك بنفسه في أمرٍ ما يكون أدقّ، وتكون نتائجه أسرع وأصدق .

الموضع الثَّامن:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[1]، أَجْعَلُهُ خَالِصًا لِي دُونَ غَيْرِي، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلْعَزِيزِ، وَالِاسْتِخْلَاصُ: طَلَبُ خُلُوصِ الشَّيْءِ مِنْ شَوَائِبِ الشَّرِكَةِ، قَالَ ذَلِكَ لَمَّا كَانَ يُوسُفُ نَفِيسًا، وَعَادَةُ الْمُلُوكِ أَنْ يَجْعَلُوا الْأَشْيَاءَ النَّفِيسَةَ خَالِصَةً لَهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ[2]، وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنْ شِدَّةِ اتِّصَالِهِ بِهِ وَالْعَمَلِ مَعَهُ[3]، وهكذا يكون الأمر المَلكيّ نافذًا، غير قابل للتأجيل والتأخير والتأويل؛ ولذلك نُسِبَ إلى الملك.

الموضع التَّاسع:

وقد جاء فيه لفظُ الملك (مُضافًا إليه)، قَالَ تَعَالَى:﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾[4]، ذكر الطَّبريُّ وغيره أنَّ المراد: نَفْقِدُ مَشْرَبَةَ الْمَلِكِ، وهو الإناء الذي كان يشربُ فيه[5]، وذهب آخرون الى أنَّهُ الصَّاع الذي يُكال به الحنطة[6]، في حين جمع الزجاج بين التَّفسيرين فقال: «الصُّواع: هو الصَّاعُ بعينه، وهو يُذَكَّرُ ويؤنَّثُ، وهو السِّقاية»[7].

وقد أورد الرَّازي تلك الأقوال ولم يَملْ إلى أحدها، ثمَّ قال: « وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ: كَانَ ذَلِكَ الْإِنَاءُ شَيْئًا لَهُ قِيمَةٌ» [8].

---

(١) سورة يوسف، الآية : ٥٤ .

(٢) فتح القدير: ٣/ ٤٢ .

(٣) التحرير والتنوير: ١٣/ ٧ .

(٤) سورة يوسف، الآيات : ٧٠ – ٧٢.

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن:١٦/ ١٧٢-١٧٣، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٧/ ٢١٧٣.

(٦) ينظر: الكشف والبيان: ٥/ ٢٤٠.

(٧) معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ١٢٠، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥٥٤، وتفسير القرآن للسمعانيّ: ٣/ ٥٠.

(٨) مفاتيح الغيب: ١٨/ ٤٨٦ .

ويبدو لي أنَّه نَسَب ذلك الصّواعَ إلى المَلِك لتَعْظيمه، وبيان أهمّيّته ومكانته، إذ لو كان المسروق شيئًا لأحدٍ من عامَّة النَّاس لم يكن له من الوقع والأثر النَّفسيّ ما كان، ثُمَّ أنَّه لو قيل: صواعٌ بالتَّنكير بلا نسبةٍ، لقالَ المُتَّهَمون بالسَّرقة: هذا افتراءٌ، وكيف سُرِقَ؟، ومتى سُرق؟، لكنّ نسبته إلى الملك أوقعت الصَّدمةَ عليهم كالصَّاعقة، فكيفَ يُقابَلُ مَنْ أحْسَنَ إليهم بأعزّ شيء آنذاك، وهو مُتفضِّل غير مُجبر، بالإساءة العظيمة، وهي السَّرقة؟!، وتلك الصَّدمة هي التي شلَّت تفكيرهم، وأذهلتْ عقولَهم، فجعلتهم يُسارعون بنفي التُّهمة بالقَسَم المتبوع بالتَّوكيد: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾[1]، بلا سؤالٍ عن حيثيّاتِ تلك السَّرقة، ولاشكٍّ في وقوعها.

وقد دلَّ نسبة الصّواع إلى المَلِك على حقيقة حصول السَّرقة ووقوعها حقًّا، وهذا ما أراد سيّدنا يوسف عليه السلام تقريره في نفوسهم، فإنَّهُ ليسَ من المُتَوَقَّع -عند إخوة يوسف- أن يتَّهِمَ مثلُ ذلك الملكِ -الذي عمل على توفير أقوات النَّاس، ومعاملتهم بالرّفق والحُسْنَى في زمن الضّيق والفقر والحاجة والضُّرِّ- أحدًا ممَّن تصدّق عليه بالسّرقة زورًا وبُهتانًا، إذ لا يتناسبُ كرمُ النَّفس والشَّهامة مع ذلك الاتّهام.

الموضع العاشر:

وهو أيضًا في سورة يوسف، جاء للإشارة إلى الملك الذي تكرَّر ذكره في السورة الكريمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[2]، قال عبد القاهر الجرجانيّ: «في سُلطان الملك وطاعته إلا بمشيئة الله، قيل: شاء اللهُ ذلك، وأذن له فيها بإلْهامِهِ الكيد»[3]، وذهب غيره إلى أنَّ المُراد في سياسته[4]، أو في قضاء المَلِك[5]، ويُقال: في حُكْمِهِ[6].

---

(١) سورة يوسف، من الآية : ٧٣

(٢) سورة يوسف، الآية : ٧٦ .

(٣) دَرْجُ الدُّرر في تَفسير الآي والسُّوَر: ٢/ ١٤١ .

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٢/ ٦١٧ .

(٥) تاج العروس: مادة (دين): ٣٥/ ٥٦

(٦) مقاييس اللغة: ٢/ ٣١٩، الهداية إلى بلوغ النهاية للقيسي: ٥/ ٣٦٠٦، لباب التأويل: ٢/ ٥٤٥ .

ويبدو لي أَنَّهُ أَضافَ الدِّين -سواءً أكانَ المُرادُ به السُّلطان أم الحُكم- إلى المَلِك؛ لِيُشيرَ إلى كونه أمرًا -أو تشريعًا- مَلَكيًّا، واجبَ التَّنفيذ، غير قابلٍ للنّقاش؛ وذلك لِمَا جمعتْه لفظةُ (المَلِك) من معاني القوَّة والشِّدَّة والتَّمكين، فواضِعُ القانون إنْ كانَ قويًّا كانت المُسارعة إلى تنفيذ قانونه وإمضائه من البديهيَّات، وإنْ كانَ شديدًا لم يجرؤ أحدٌ على مُخالفته، فإنَّه قانون مَلَكيّ، لا يمكن تبديلُه ولا تعديله ولا تغييره إلاّ بأمرٍ مَلَكيّ .

❊ ❊ ❊

المبحث الثَّاني: العَزيزُ

المطلب الأول:

تعريف العزيز لُغةً واصطلاحًا:

العِزُّ: خِلافُ الذُّلّ، ومَطَرٌ عِزٌّ؛ أي: شديد، وعَزَّ الشَّيءُ يعزّ وعزة وعزازة، إذا قلَّ لا يكاد يوجد، فهو عزيز[1]، والعَزيز كأمير، المَلِك، مَأْخُوذٌ من العِزّ، وَهُوَ الشِّدَّة والقَهْر؛ وسُمِّي بِهِ لِغَلَبَتِه على أهلِ مَمْلَكَتِه، أي فَلَيْسَ هُوَ من عِزَّةِ النَّفس، والعَزيزُ أَيْضًا: لقَبُ مَن مَلَكَ مِصرَ مَعَ الإسكَنْدَرِيَّة، كَمَا يُقَال النَّجاشيّ لمن مَلَكَ الحَبَشة، وقَيْصَر لمن مَلَكَ الرُّوم[2].

المطلب الثاني:

مواضع ورود كلمة (العزيز) الدَّالة على المَلِك الإنسان في القرآن الكريم:

وقد ورد العزيز وأُريد به الملك الإنسان أربع مرات[3]، كلّها في سورة يوسف، وهي:

الموضع الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي

(١) الصحاح : مادة(عزز): ٣/ ٨٨٥ .

(٢) تاج العروس: مادة(عزز): ١٥/ ٢٣٢ .

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٤٥٩-٤٦١ .

ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1]، والمعنى: وَتَحَدَّثَ النِّسَاءُ بِأَمْرِ يُوسُفَ وَأَمْرِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ فِي مَدِينَةِ مِصْرَ، وَشَاعَ مِنْ أَمْرِهِمَا فِيهَا مَا كَانَ، فَلَمْ يَنْكَتِمْ، وَقُلْنَ: امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ عَبْدَهَا، عَنْ نَفْسِهِ، وقَدْ وَصَلَ حُبُّهُ إِلَى شَغَافِ قَلْبِهَا، وَهو غِلَافُهُ الْمُحِيطَ بِهِ، وَغَاصَ فِي سُوَيْدَائِهِ، فَمَلَكَ عَلَيْهَا أَمْرَهَا، حَتَّى إِنَّهَا لَا تُبَالِي مَا يَكُونُ مِنْ عَاقِبَةِ[2].

والعزيزُ هنا: المَلِكُ عندَ مُعظم المُفسِّرين[3]؛ لأَنَّ العزيزَ الْمَلِكُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ[4]، وروى عبدالرزاق الصنعانيّ أَنَّ عزيزَ مصر لم يكُنْ مَلِكًا، وأَنَّهُ كَانَ يَلِي عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ الْمَلِكِ[5]، وذكر الثعلبيُّ أَنَّ العزيزَ المَلِكُ بلُغة حِمْير[6]، وقال السَّمعاني في تفسير هذه الآية: «قيل الْعَزِيز: هُوَ الْمُمْتَنع بقدرته عَن أَن يُضام فِي أمره»[7]، ولم يذهب الفيروزآبادي بعيدًا حين قال: «والعزيزُ: المَلِكُ؛ لِغَلَبَتِه على أَهْلِ مَمْلَكَتِه، ولَقَبُ مَنْ مَلَكَ مِصْرَ مع الإِسْكَنْدَرِيَّةِ»[8]، وأضاف الزبيدي: «كَمَا يُقَال النَّجاشيّ لمن مَلَكَ الحَبَشة، وقَيْصَر لمن مَلَكَ الرُّوم»[9].

وخلَصَ الدكتور أحمد نوفل إلى أَنَّ العزيز آنذاك كان منصبًا لمُعاون المَلِك، وهو يُشْبهُ منصب رئيس الوزراء في زمننا هذا[10].

وهناك من يرى أَنَّ العزيزَ ترجمةٌ دقيقة لِمَا كان يُستعمل في تلك الأزمان السحيقة[11]، وقد ذكرتُ

---

(١) سورة يوسف، الآية : ٣٠ .

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٦/ ٦٢، وتفسير القرآن للسمعاني: ٣/ ٢٥ .

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٦/ ٦٢، الكشاف: ٢/ ٤٦٢، المحرر الوجيز : ٣/ ٢٣٧، مفاتيح الغيب: ١٨/ ٥٠٣.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٦/ ٦٢ .

(٥) تفسير عبد الرزاق: ٢/ ٢١٣ .

(٦) ينظر: الكشف والبيان: ٥/ ٢٥١ .

(٧) تفسير القرآن: ٣/ ٢٥ .

(٨) القاموس المحيط: ١/ ٥١٧ .

(٩) تاج العروس: ١٥/ ٢٣٢ .

(١٠) ينظر: سورة يوسف دراسة تحليليَّة: ٧٢ .

(١١) ينظر: لمسات بيانية: ٧ .

ذلك في المُقدِّمة.

وهذا التوجيه وإن كان صحيحًا، إلاّ أنَّنا ينبغي أن لا ننسى أنَّ القرآن الكريم نزل مُخاطبًا العرب، ونزل بلغة العرب، ولم يكُ العرب آنذاك على علمٍ بهذه الأخبار التاريخيَّة، فالأصل في الخطاب أن يكون إعجازه من حيث اللغة .

وقد ذكر محمّد رشيد رضا أنَّ قولَ النِّساء ذاك إنَّما هو خَبَرٌ يُرَادُ بِهِ لَازِمُهُ، وَهُوَ التَّعَجُّبُ وَالْإِنْكَارُ الصُّوريُّ مِنَ كلِّ وجه؛ لكَوْنُ الْمُتَحَدَّث عَنْهَا امْرَأَةَ عَزِيزِ مِصْرَ، وَزِيرِ الْمَلِكِ الْأَكْبَرِ فِي عُلُوِّ مَرْكَزِهَا؛ لأنَّها تُهِينُ نَفْسَهَا وَتُحَقِّرُ مَرْكَزَهَا بِأَنْ تَكُونَ مُرَاوِدَةً لِرَجُلٍ عَنْ نَفْسِهِ[1].

ويبدو أنَّهنَّ نَسَبْنَها إلى العزيز للإشارة إلى صدور ما لا ينبغي منها، فمكانة المرأة وعزتها من مكانة زوجها وعزته، فأردن الإشارة إلى أنَّها أذلَّت نفسها بذلك الفعل، وجاءت بما ينافي تلك العزة، فنزلت عن عزَّتها، ألا ترى أنَّ مجتمعاتنا النسائية إذا ما رأت من امرأة عالمٍ ما فعلاً ينمّ عن الجهل قُلن لها: فعلتِ كذا وأنتِ زوجُ العالم!.

ولو أرادت تلك النسوة اللاتي في المدينة إنكار عجزها عن تحصيل شيء لقُلن: امرأة الملك تعجز عن تحصيل كذا وكذا.. إذن حين نَسَبْنَها إلى العزيز فقد جِئْنَ بما يناسب المقام بدقة عالية، وهكذا هو شأن النساء في محاولة الانتقاص.

الموضع الثَّاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[2]، فأراد الاشارة هنا إلى أنَّها مع عزتها فإنَّها اعترفت بطهارة سيدنا يوسف عليه السلام .

الموضع الثَّالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3]، والمعنى قال إخوة يوسف ليوسف: يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ، إنَّ له أبًا كبيرَ السِّنِّ والقَدْرِ،

(١) ينظر: تفسير المنار: ١٢/ ٤٢٠ .

(٢) سورة يوسف، الآية : ٥١.

(٣) سورة يوسف، الآية : ٧٨ .

كَلِفًا بِحُبِّهِ -يَعْنُونَ يَعْقُوبَ-، فَخُذْ أَحَدًا مِنَّا بَدَلًا مِنْ بِنْيَامِينَ، وَخَلِّ عَنْهُ، فإِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ فِي أَفْعَالِكَ[1]، وهذا الكلامُ من إخوةِ يوسف على وَجْهِ التَّرقيق والاسْتعطاف؛ لأنَّهم كانوا أعلموه بشدة محبَّةِ أبيه[2].

وقد ذكر الثعالبي أنَّ قولهم (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ) كَانَت تَحِيَّة أهل مصر مُلُوكهمْ وعظمائهم وَإِلَى الْآن- يعني: زمنه[3].

أمَّا عن الغاية من تسميته العزيز دون الملك، ودلالة ذلك فقد ذكر القرطبي وغيره أنَّهم خَاطَبُوهُ بِاسْمِ الْعَزِيزِ إِذْ كَانَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أمَّا قد عزل الملك الْأَوَّل الذي كان قبله، أَوْ مَات[4].

في حين قال الطاهر ابن عاشور: «نَادَوْا بِوَصْفِ الْعَزِيزِ؛ إِمَّا لِأَنَّ كُلَّ رَئِيسٍ وِلَايَةٍ مُهِمَّةٍ يُدْعَى بِمَا يُرَادِفُ الْعَزِيزَ فَيَكُونُ يُوسُفُ عليه السلام عَزِيزًا، كَمَا أَنَّ رَئِيسَ الشُّرْطَةِ يُدْعَى الْعَزِيزَ كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِه تَعَالَى:(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ)، وَإِمَّا لِأَنَّ يُوسُفَ ضُمَّتْ إِلَيْهِ وِلَايَةُ الْعَزِيزِ الَّذِي اشْتَرَاهُ، فَجَمَعَ التَّصَرُّفَاتِ وَرَاجَعُوهُ فِي أَخْذِ أَخِيهِمْ»[5].

وهذه التوجيهات لا تخرج عن كون المراد بالعزيز الملك، أو صاحب السلطة، وبقي السؤال: لِمَ سُمِّيَ هنا عزيزًا، لا مَلِكًا؟، وما دلالة ذلك؟

خلاصةُ ما أراه في الحكمة من وروده بلفظ العزيز ودلالة ذلك ما يأتي:

أ-لأنَّ أولادَ سيِّدنا يعقوب عليه السلام كانوا في مقام الطَّلب والحاجة، وهذا المقام مقام تذلّل، فكأنَّهم يقولون له: أنتَ عزيزٌ لا يُنقِصك العفوُ شيئًا، بل يزيدك عزًّا، ونحن أذلَّة بين يديك، وحقّ العزيز أنْ يتفضَّل على الذليل المُنْكسر المُحتاج.

ب-أنَّه لم يُسمِّه فرعون؛ لأنَّه لم يكُ من الظالمين، قال ابنُ الجوزيّ: «وكان فرعونُ يُوسف لا

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٦/ ٢٠٢ .

(٢) ينظر: النكت والعيون: ٣/ ٦٦، ومعترك الأقران: ٣/ ١٥٤ .

(٣) ينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٢٣١ .

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٣/ ٢٦٨، والجامع لأحكام القرآن: ٩/ ٢٤٠، والجواهر الحسان: ٣/ ٣٤٤ .

(٥) التحرير والتنوير: ١٣/ ٣٦ .

يؤذي بَنِي إسرائيل، بَل يُحْسِنُ إليهم»[1]، فدَلَّ استعمال لفظ العزيز على أنَّه حقيقٌ بالعزَّة؛ لأنَّه عادلٌ، وهكذا تُسَوَّد الرجال وتعزّ، بالعدلِ لا بالقهر .

الموضع الرابع:

وهو أوضحُ من الآية السَّابقة في الدلالة على ما ذهبت إليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾[2]، أي: إنَّ أخوة سيّدنا يوسف عليه السلام عادوا إلى مصر- ودخلوا على يوسفَ عليه السلام، فقالوا له: يا أيُّها العزيزُ أصابنا الهزالُ والضّعف؛ لِمَا نحنُ فيه من المَجاعة، وكثرة العيال، وقلَّة الطعام، وقد شَكوا إليه رقَّةَ الحالِ، وقلَّة المال، وشدَّة الحاجة، وغير ذلك ممَّا يُرقِّق القلبَ، مع أنَّ مقصدَهم التحسُّس مِنْ يوسف وأخيه- ليروا تأثيرَ الشكوى فيه، فإنْ رقَّ قلبُه لهم ذكروا ما يُريدون، وإلا سكتوا، وقد كان أبوهم يرجّح أنَّهُ هو يوسف، فأرادوا أنْ يروا تأثيرَ هذا الاستعطاف فيه، وقد بالغوا في الضَّراعة والتذلّل؛ لِمَا كانوا يرون من تأثير ذلك في ملامح وجهه، وجرس صوته، ومغالبة دمعه[3].

والذي يبدو لي إنَّهم سمَّوه عزيزًا؛ لأنَّهم كانوا في مقام التَّذلّل والانكسار والافتقار وبيان الحاجة، استنهاضًا لهمَّته، ومدحًا له بما يُناسب ذلك المقام، ويؤيده أنَّ أصلَ العز: منع الضَّيم، أَو الضير بسعة السُّلْطَان وَالْقُدْرَة، والعزيز عند السَّمعانيّ: هُوَ المنيع بِمَا حصل لَهُ من وَاسع الْمَقْدُور[4]، وعند الرَّازي الْعَزِيزُ هُوَ الْمَلِكُ الْقَادِرُ الْمَنِيعُ[5]، ألا ترى أنَّ الضَّعيف حين يطلب إعانةً من قويّ يقول له: أيُّها القويّ!، استنهاضًا لهمَّته، وتحريكًا لدواعي قوَّته، ومبالَغَةً في إظهار الضَّعف أمامه لترقيق قلبه .

وإخوةُ سيدنا يوسف عليه السلام كانوا قد تمكَّن منهم الضعف والهزال بسبب الفقر والحاجة، فاضطرّوا إلى السَّفر مسافات بعيدة بحثًا عن الطَّعام، لا بحثًا عن المال أو الغنى -والفرقُ واضحٌ

(١) المنتظم: ١/ ٣٣٢ .

(٢) سورة يوسف، الآية : ٨٨.

(٣) تفسير المراغي: ١٣/ ٣١-٣٢ .

(٤) تفسير القرآن للسمعاني: ٣/ ٥٤ .

(٥) مفاتيح الغيب: ١٨/ ٥٠٣ .

بين الحالين-، وطالبُ الطَّعام لأهله وأولاده لابُدَّ أن يكون عاجزًا عن تحصيله بنفسه للجدب الذي عمَّ آنذاك، وكُلُّ ذلك يُمكِّن التَّذلّل والانكسار من نفسه؛ لأنَّ الرَّجل الحُرَّ العزيزَ يقتله أن يقف موقف استجداء الصَّدقة، وهم الآن يطلبونها تصريحًا، لا تعريضًا ولا تلميحًا، فكبرياؤهم قد تطامن، وغرورُهم قد اكتُسِحَ[1]، فناسب كلَّ ذلك أن يُنادوا من يطلبون منه بلفظ يشتمل على كلّ الصفات التي بهم حاجة إليها، وهي الملك والعزَّة والمنعة والقدرة والتمكين، فقالوا: العزيز، وممَّا يؤيِّد هذه الدّلالة قولهم: ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾، قال ابن العربيّ: «الْمَعْنَى جِئْنَا بِقَدْرِنَا، فَأَعْطِنَا بِقَدْرِك، تَضَاءَلُوا بِالْحَاجَةِ، وَتَمَسْكَنُوا بِفَادِحَةِ الْمُصِيبَةِ فِي الْأَخَوَيْنِ، وَمَا صَارَ إلَيْهِ أَمْرُ الْأَبِ بَعْدَهُمَا»[2]، والمُتَصَدِّق هُوَ المُتَمَكِّن ذو القدرة .

❊ ❊ ❊

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: الرَّبُّ

المطلب الأول:
تعريفُ الرَّبِّ لُغةً واصطلاحًا:

يستعمل لفظُ الربّ في اللغة للدلالة على معانٍ مُتعدّدة، أبرزها: المالكُ : فَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ: مَالِكُهُ[3]، والسيِّد المُطاع[4]، والمُصلح[5]، قال ابن فارس: «وَاللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الرَّبُّ؛ لِأَنَّهُ مُصْلِحُ أَحْوَالِ خَلْقِهِ»[6]، والمدبِّر : قال أبو هلال العسكري: «الفرق بين الصفة بربّ والصفة بمالك: أنَّ

(١) ينظر: سورة يوسف دراسة تحليليَّة: ١٩٣ .
(٢) أحكام القرآن: ٣/ ٧٦ .
(٣) جمهرة اللغة : مادة(ربب):١/ ٦٧ .
(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس:١/ ٤٦٧ .
(٥) المصدر نفسه : ١/ ٤٦٧ .
(٦) مقاييس اللغة :٢/ ٣٨٢ .

الصفة بربّ أفخمُ من الصفة بمالك؛ لأنَّها مِنْ تحقيق القدرة على تدبير ما ملك، فقولنا (رب) يتضمن معنى الملك والتدبير، فلا يكون إلا مُطاعًا أيضًا»[١].

والرَّبُّ المربّي: قال ابن سيده: «وَأَصله فِي الِاشْتِقَاق من التَّرْبِيَة، وَهِي التَّنْشِئَة، يُقَال: رَبَّيْتُهُ ورَبَّبْتُهُ بِمَعْنى؛ وَقيل للْمَالِك رَبٌّ؛ لِأَنَّهُ يملك تَنْشِئَةَ المَرْبُوب»[٢]، وكان الراغب الأصفهاني أكثر إيضاحًا إذ قال :» الرَّبُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التَّمام، يقال رَبَّهُ، وربّاه ورَبَّبَهُ»[٣].

والرَّبُّ أيضًا القَيِّم[٤]، والمُنْعِم[٥]، والخالق[٦]، والصاحب[٧].

وقد جمع الأستاذ أبو الأعلى المودودي المعاني التي خرج إليها لفظ الربّ في القرآن الكريم، فوجدها تنحصر في[٨]:

١- التربية والتنشئة والإنماء .

٢- الجمع والحشد والتهيئة .

٣- التعهد والاستصلاح والرعاية والكفالة.

٤- العلاء والسيادة والرئاسة وتنفيذ الأمر والتصرف.

٥- التملك.

وخلص إلى أنَّ لفظ الربّ في القرآن الكريم لم يخرج عن هذه المعاني. وهي بمجموعها معان لم تخرج عن المعاني اللغوية التي ذكرناها لهذا اللفظ آنفًا.

---

(١) الفروق اللغوية : ١٨٦ .

(٢) المخصص :٥/ ٢٢٧ .

(٣) المفردات في غريب القرآن : ٣٣٦ .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ١٧٩ .

(٥) المصدر نفسه : ٢/ ١٧٩ .

(٦) لسان العرب : مادة (ربب):٣/ ١٥٥١ .

(٧) المصدر نفسه: مادة (ربب):٣/ ١٥٥١ .

(٨) ينظر : المصطلحات الأربعة في القرآن: ٢٣- ٢٧ .

المطلب الثاني:
مواضع ورود كلمة الرَّبِّ الدَّالَّة على المَلِك (الإنسان)
في القرآن الكريم:

أَمَّا إطلاق لفظ الرَّبّ على الملك فقد ورد في القرآن الكريم أربع مرات[1]، كلّها في سورة يوسف، وفيما يأتي بيان هذه المواضع :

المواضع: الأوَّل والثَّاني والثَّالث:

في سورة يوسف عليه السلام نفسها ورد تسمية الملك بالرَّبِّ في آيتين مُتتابعتين ثلاث مرَّات، وذلك عند تأويل سيدنا يوسف عليه السلام رؤيا صاحبيه في السجن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴾[2]، والمراد بربِّه سَيّده المْلك، الذي في خدمته[3].

ويبدو لي ما يأتي:

١-دلَّت كلمة (الرَّبّ) في قوله: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗا﴾، على السَّيِّد المُطاع، يدلّنا على ذلك أنَّ سيِّدنا يوسف عليه السلام طَلَبَ منه أن يذكر حالَه له، ويشرح له أمره وما وقع عليه من الظُّلم بقوله: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾، ولو لم يكن ذلك الملكُ مُطاعًا لم تكن هناك من فائدة من ذكر حال سيدنا يوسف عليه السلام عنده، ولكنَّه لَمَّا كان قادرًا على إنفاذ أمره رجا سيِّدنا يوسف عليه السلام أن يكون الفرج على يديه .

٢-في قوله ﴿رَبَّهُۥ﴾ دلالتان: إحداهما : أنَّ ذلك الساقي سيكون في خدمة أحد ملوك مصر؛ لأنَّهم يسمّون الملك ربًّا، والثاني : أنَّه سيعود إلى الملك الذي كان يخدمه نفسه، قال أبو حيّان الأندلسي: « فروي أنَّه قال : لبنوّ -وهو اسمُ أحد السَّجينَيْن-: أمَّا أنتَ فتعود إلى مرتبتك وسقاية

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٢٨٥-٢٩٩ .
(٢) سورة يوسف، الآيتان : ٤١- ٤٢ .
(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ١٩٥، واللباب في علوم الكتاب: ١١/ ١٠٨، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤/ ٤٣ .

ربّك، وما رأيتَ من الكرامة وحُسْنها هو المَلِكُ وحُسْنُ حالك عنده»[1].

ويُمكننا أن نستنبطَ من كلام أبي حيَّان دلالاتٍ أخرى، منها أنَّ ذلك الملك سيُصلحُ حال ساقيه، كما يُصلح المُربّي حالَ من يتعهّده بالرّعاية والمداراة، ومنها أنَّه سيُنعم عليه بالعودة إلى ما كان عليه من التَّقريب والتَّكريم، ومنها أنَّه سيكون معه كالصَّاحب لما سيكون بينهما من العلاقة الوثيقة .

٣-وأمَّا قوله : ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾، فالمعنى: فأنسى الشَّيطانُ ذَلِكَ الْفَتَى- الشَّرابيَّ- أَنْ يَذْكُرَ مظلوميَّة يُوسُفَ لِلْمَلِكِ حَتَّى طَالَ الْأَمْرُ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ بِهَذَا السَّبَبِ[2]، والرَّب على هذا التأويل الملك[3]، ويبدو أنَّه ذَكَرَهُ بلفظ الرّبِّ هنا لموافقة ما سبق .

الموضع الرَّابع:

ومازلنا في سورة يوسف ليطالعنا لفظ الربّ بمعنى المَلِك مرةً رابعةً، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿**وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**﴾[4]، وَذَلِكَ أَنَّ السَّاقِيَ لَمَّا رَجَعَ إِلَى الْمَلِكِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا أَفْتَاهُ به يُوسُفُ مِنْ تَأْوِيلِ رُؤْيَاهُ، وَعَرَفَ الْمَلِكُ أَنَّ الَّذِي قَالَهُ كَائِنٌ، قَالَ: ائْتُونِي بِهِ، فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ، وَقَالَ لَهُ: أَجِبِ الْمَلِكَ أَبَى أَنْ يَخْرُجَ مَعَ الرَّسُولِ حَتَّى تَظْهَرَ بَرَاءَتُهُ، ثُمَّ قالَ لِلرَّسُولِ: ارْجِعْ إِلى سيِّدك المَلِك، فاسْأَلْهُ مَا حالُ النّسوة اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ؟ وما شأنهنّ؟، وَلَمْ يُصَرِّحْ بِذِكْرِ امْرَأَةِ العزيز أدبًا واحْتِرامًا[5].

ويبدو أنّ سيدنا يوسف عليه السلام إنَّما قال ذلك؛ لعلمه يقينًا بأنَّ ذلك الملكَ مُطاعُ الأمر، وإنَّ بيده مقاليد الأمور، حتى أنَّه من القوة والتصرف بحيث لا يمكن لأحد الخروج عن أمره، ولديه من التدبير وإمكانات البحث والتَّقصّي ما لا يمكن لأحدٍ معه إخفاء أيِّ حقيقة عنه، مهما كانت، ولديه حُسْنِ التَّدبير، يدلّنا على ذلك عاقبة تلك المُراجَعَةِ في الكلام، فإنَّ القُرآن وَصَف أثر تلك العاقبة مباشرة بعد هذه الآية، وبلا تراخٍ، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿**وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ**

(١) البحر المحيط : ٥/ ٣٠٩ .

(٢) ينظر: الكشاف: ٢/ ٤٧٢، ومفاتيح الغيب: ١٨/ ٤٦٢، البحر المديد: ٢/ ٥٩٩ .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/ ٣٨٧ .

(٤) سورة يوسف، الآية : ٥٠ .

(٥) معالم التنزيل : ٢/ ٤٩٥، ولباب التأويل: ٢/ ٥٣٢ .

﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1]، فانظُر إلى تمكّنه وقدرته على التَّصرّف ومعرفة الحقيقة بلا جهد ولا مشقَّة حتى أنَّه حين سَألَ عن الأمر سؤالاً عامًّا غير مُوَجَّهٍ إلى إنسانٍ بعينه بقوله: ﴿مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾، جاءتْهُ الاعترافات مباشرة من النّسوة: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ﴾، ومن امرأة العزيز: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وممَّا يؤكِّد سرعة ظهور تلك الاعترافات أنَّ القُرآن الكريم قد جمعها في آيةٍ واحدة .

وهنا ملاحظة عامة: إذ نلاحظ أنَّه في سورة يوسف فقط سُمِّي الملك ربًّا، كما نلاحظ أنَّ القرآن الكريم إنَّما حكاهُ عن قائلين ؛أي: إنَّ الجمل التي سُمّي فيها الملك ربًّا جميعها نطق بها البشر، ونقلها القرآن الكريم لنا على سبيل الحكاية بلا إنكار؛ ولعلَّ ذلك لأنَّ المصريين كانوا يُسمّون الملك ربًا، في حين أنَّنا نجد أيَّ قولٍ غير مَحْكِيٍّ قد جاء بلفظ (الملك)، أو (العزيز).

❊ ❊ ❊

المبحث الرابع: فِرْعَون

المطلب الأول:

تعريف فرعون لُغةً واصطلاحًا:

قال ابن دريد: «وَأَمَّا فِرْعَوْن فَلَيْسَ باسم عَرَبِيّ يحكَّم فِيهِ التصريف، وأحسبُ أَنَّ النُّون فِيهِ أَصْلِيَّة؛ لأَنَّهم يَقُولُونَ: تَفَرْعَنَ»[2]، وهذا يُؤكِّدُ أنَّ هذا الاسمَ ليسَ بِعَربيٍّ، لكنَّ العرب اشتقَّت منه فعلاً مُناسبًا للصِّفةِ التي كان عليها فرعون، وقال الجوهري: «فرعون: لقب الوليد بن مصعب مَلِك مِصر، وكلُّ عاتٍ مُتَمَرِّدٍ فرعون، والعتاة: الفراعنة»[3]، وقيلَ: فِرْعَون لَقَبُ كلِّ مَنْ مَلَكَ مِصْرَ

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٥٠ – ٥١ .

(٢) جمهرة اللغة: مادة (فرع) ٢/ ٧٦٧ .

(٣) الصحاح: ٦/ ٢١٧٦- ٢١٧٧ .

كالعَزيزِ لكلِّ مَنْ مَلَكَهُ[1]، ونُقل عن ابْنُ الْجَوْزِيِّ أنَّ هناك ثلاثة عُرفوا بهذا اللقب وغلب عليهم، وهم: فِرْعَوْنُ الْخَلِيلِ وَاسْمُهُ سِنَانٌ، وَفِرْعَوْنُ يُوسُفَ وَاسْمُهُ الرَّيَّانُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَفِرْعَوْنُ مُوسَى وَاسْمُهُ الْوَلِيدُ بْنُ مُصْعَبٍ[2]، ولم أعثر على هذا الكلام فيما بين يديّ من كتب ابن الجوزيّ، والموجود في كتاب (المنتظم) أنَّهم أربعة، رابعُهم فرعونُ موسى[3].

وقيل: الفرعون: التِّمساح بلغة القبط[4]، وذكَرَ بعضُ المُعاصرين أنَّ فِرْعَوْن لقب ملك مصر في التَّاريخ الْقَدِيم، وَأَنَّ أصله بالمصرية (يرعو) -بِغَيْر نون- وَمَعْنَاهُ الْبَيْت الْعَظِيم[5].

المطلب الثاني:

مواضع ورود كلمة فرعون الدَّالَّة على الملك (الإنسان) في القُرآن الكريم:

ورد اسم فرعون في القرآن الكريم(٧٤مرة) أربعًا وسبعين مرة[6]، وقد أُريدَ بها كلّها فرعون موسى؛ ولذلك فهو دائمًا في سياق بيان ظلمه وتجبّره وطغيانه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾[7]، وقد وصفه سبحانه بقوله: ﴿وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[8]، قال الطَّبريّ: « وَأَمَّا فِرْعَوْنُ فَإِنَّهُ يُقَالُ: إِنَّهُ اسْمٌ كَانَتْ مُلُوكُ الْعَمَالِقَةِ بِمِصْرَ تُسَمَّى بِهِ، كَمَا كَانَتْ مُلُوكُ الرُّومِ يُسَمِّي بَعْضُهُمْ قَيْصَرٌ وَبَعْضُهُمْ هِرَقْلٌ، وَكَمَا كَانَتْ مُلُوكُ فَارِسَ تُسَمَّى

(١) تاج العروس: مادة (فرعن) ٣٥/ ٥٠٧ .

(٢) ينظر: المصباح المنير: مادة (فرع): ٢/ ٤٦٩، وبريقة محمودية: ٢/ ١٠٨، والتَّنويرُ شَرْحُ الجَامع الصَّغِير: ٤/ ٣٤٢.

(٣) ينظر: ١/ ٣٣٢ .

(٤) أساس البلاغة: مادة (فرعن): ٢/ ١٩، وتاج العروس: مادة(فرعن): ٣٥/ ٥٠٦ .

(٥) المعجم الوسيط: مادة (فرعن): ٢/ ٦٨٤ .

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٥١٥-٥١٦ .

(٧) سورة النازعات، الآيات: ١٥ – ٢٥ .

(٨) سورة يونس، من الآية: ٨٣ .

الْأَكَاسِرَةَ وَاحِدُهُمْ كِسْرَى»[1].

ونلاحظ أنَّ القُرآن الكريم لَمْ يُسمِّ مَلِكًا بفرعون إلَّا فرعونَ موسى، وهناك مَنْ يرى أنَّ تسميته بفرعون إنَّما هو ترجمةٌ دقيقة؛ لأنَّهم كانوا يُسمَّون الملكَ المِصريَّ الأصلِ في ذلك الزمن -زمن سيِّدنا موسيعليه السلام- (فرعون)[2].

ويبدو لي -فضلاً عن ذلك أنَّ السبب في ذلك يكمن فيما يأتي:

١- ارتباط ذكر فرعون في القرآن الكريم بالظّلم والطغيان والتَّجبر وتكذيب الدعوة، وادِّعاء الألوهيَّة، وتلك أمورٌ في قمَّة التَّجبّر.

٢-إنَّ ممَّا ترسَّخ في أذهان النَّاس أنَّ (فرعون) يُمثِّل الظّلم والطغيان، والقرآن الكريم جاء مُخاطبًا العرب بما يفهمون، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾[3]، فلم يُسمِّه ملكًا؛ لئلا ينصرف الذهن إلى غيره، ولم يُسمِّه ربًّا؛ لأنَّ كلمة الرَّب تشير إلى التربية والتنشئة، وفرعون لم يكُ مربيًا، بل كان ظلومًا غشومًا، كما أنَّه ادَّعى الربوبية فعاقبه اللهُ بسبب ذلك، فليس من المُناسب أنْ يُسمَّى ربًّا، ولم يُسَمِّه عزيزًا؛ لأنَّ اللهَ أذلَّه وأهانه .

٣-إنَّ في قوله (فرعون) إيجازًا عن قوله (ملك، أو ملك مصر)؛ لأنَّ اسم (فرعون) يحمل اسمَ المُلْك وصفته، أعني المُلك، والظلم والتكبّر .

❊ ❊ ❊

(١) جامع البيان: ٢/ ٣٨ .

(٢) ينظر: لمسات بيانية : ٧ .

(٣) سورة إبراهيم، من الآية: ٤ .

المبحث الخامس: امرأة

المطلب الأول: تعريفُ المرأة لُغةً واصطلاحًا:

المَرْء هُوَ الرَّجل، وَقَدْ أَنَّثوا فَقَالُوا: مَرْأَةٌ، وخَفَّفوا التَّخْفيفَ الْقِيَاسِيَّ، فَقَالُوا: مَرَةٌ، بِتَرْكِ الْهَمْزِ وَفَتْحِ الراءِ، وَهَذَا مطَّرد، وقَالُوا: مَراةٌ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ، وَنَظِيرُهُ كَمَاةٌ. وقَالُوا: امْرأَةٌ، فَإِذَا عرَّفوها قَالُوا: المَرأَة. وَحُكِيَ الامْرَأَة، وامْرَأَةٌ تأْنيث امْرِئٍ. وَلِلْعَرَبِ فِي المَرأَةِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ، يُقَالُ: هِيَ امْرَأَتُه وَهِيَ مَرْأَتُه وَهِيَ مَرَتُه[1].

المطلب الثاني:

مواضع ورود كلمة (امرأة) الدَّالَّة على المَلك الإنسان في القرآن الكريم:

وقد ورد تسمية الملك بـــ(امرأة) في القرآن الكريم مرةً واحدة[2]، وذلك في قصة الهدهد مع سيدنا سليمان عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[3]

يقول تعالى مخبرًا عن قول الهدهد لسيّدنا سليمان عليه السلام، مخبرًا بعذره في مغيبه عنه بخَبَر حَقٍّ يَقِين، أَنَّه وجد بأَرْضِ بِالْيَمَنِ يُقَالُ لَهَا مَأْرِبٌ- بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَنْعَاءَ مَسِيرَةُ ثَلاثِ لَيَال- ملكةً وَعَرْشُهَا سَرِيرُهَا، وَكَانَ سَرِيرًا حَسَنًا عظيمًا؛ لما فيه مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٍ وَجَوْهَرٍ، وأوتيت من كلّ شيء يُؤتَاهُ المَلِكُ في عاجِلِ الدّنيا، مِمَّا يكون عندهم من العتاد والآلة، وَهَذِهِ الْإِخْبَارَاتِ مِنَ الْهُدْهُدِ كَانَتْ عَلَى سَبِيلِ الاعْتِذَارِ عَنْ غَيْبَتِهِ عَنْ سُلَيْمَانَ، وَعَرَفَ أَنَّ مَقْصِدَ سُلَيْمَانَ الدُّعَاءُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ عُذْرًا وَاضِحًا أَزَالَ عَنْهُ الْعُقُوبَةَ الَّتِي كَانَ سُلَيْمَانُ قَدْ تَوَعَّدَهُ بِهَا[4].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة: باب الراء والميم: ١٥/ ٢٠٥، ولسان العرب: مادة (مرأ): ١/ ١٥٦ .

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٦٦٣ .

(٣) سورة النمل، الآيات: ٢٠ – ٢٤ .

(٤) ينظر: تفسير يحيى بن سلام:٢/ ٥٣٩، وجامع البيان في تأويل القرآن:١٩/ ٤٤٦، والبحر المحيط:٨/ ٢٢٧.

وهذه الآية الكريمة وإن كانت تتحدث عن بلقيس -وهي امرأة حقًّا- إلاَّ أنَّ النَّظم القرآني لم يُسمِّها ملكةً أو عزيزة؛ ولكنَّه وصفها بأنَّها تملك، وذلك لغايةٍ ومعنىً عميق، وهي أنَّه أراد الإشارة إلى أنَّ سبأ تحكمها (امرأة)، وتتصرف في أمورهم دون أن يعترض عليها معترض، أو ينافسها منافسٌ[1]، وقد أكَّد كلامه باللام وقد، وقال إنَّها تملكهم؛ للإشارة إلى أنَّ خضوعهم لها كخضوع العبيد لمن يملكهم، وبني إيتاؤُها كلّ شيء للمجهول، وهذا يفيد أنَّ قومها آتوها أمرَهم، ووضعوا رقابَهم تحت سُلطانها[2]، وعبَّر بالمضارع تصويرًا للحال العجيب، وهو أن تتولَّى مُلكَهم امرأةٌ[3].

إذن سمَّاها هنا امرأةً؛ لأنَّه في مقام الاستغراب والدهشة والعجب، وهو يُحاول أن ينقل تلك الصورة التي ارتسمت في ذهنه إلى المتلقِّي، فهو يعجبُ من رجالٍ أشداء لديهم من أدوات المُلك كلّ شيء، يجعلون (امرأة) ملكةً عليهم، فالمرأةُ رمزُ الرِّقة والشَّفقة والرحمة والعطف والعفو عن كلِّ ذنب مهما عظم، فعاطفتها تفوق عقلها وتحركه، وكلّ تلك أمورٌ لا يستقيمُ معها الملك الذي يُمثِّل السلطة والتملّك والقوة والشّدة .

ويبدو لي أنَّه عبَّر عن ملكها بالمضارع؛ ليشير إلى إمكان زوال هذا المُلْك في أيّ لحظة؛ أي: تملكهم الآن، وقد لا يستمرّ ذلك الملك -للصفاتِ التي ذكرتها قبل قليل ممَّا يخصّها لكونها امرأة-، ثُمَّ إنَّ التعبير بالفعل يدل على الحدوث والتَّجدد، لا على الدوام والاستمرار؛ لأنَّ الفعل مرتبط بزمن معين، في حين يدلّ الاسم على الثبوت والدوام والاستمرار؛ ولذلك لم يُسمِّها (ملكة)، كأنَّ ملكها ليس راسخًا ثابتًا، ويؤيد ما ذهبتُ إليه أنَّه سبحانه حين أراد تثبيت ملك طالوت وإدامته مَنَحَهُ القوة الجسمانية التي تليق بالملوك، وسمَّاه ملكًا، فقال: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[4].

(١) ينظر: التفسير الوسيط: ١٠/ ٣١٨ .

(٢) ينظر: زهرة التفاسير: ١٠/ ٥٤٤٧ .

(٣) ينظر: تفسير ابن باديس: ٢٧٢ .

(٤) سورة البقرة، الآية : ٢٤٧ .

الخاتمة

– ظهر لي أنَّ القرآنَ الكريمَ قد سمَّى الملوك أسماءً متعددة، فقد يُسَمِّيهم بحسب تسمياتهم في بلدانهم، أو يسمِّيهم تسميات أخرى، وكلّ ذلك يأتي بدلالةٍ موافقةٍ للسياق الواردة فيه، والمقام الذي تتطلّبه؛ بناءً على أصلها اللُّغويّ المُعجميّ.

– وبعد حصر الألفاظ الدالة على الملك (الإنسان) خلصتُ إلى أنّها وردت على النَّحو الآتي:

١– الملك: عشر مرات.

٢– العزيز: أربع مرات.

٣– الرَّبّ: أربع مرات.

٤– فرعون: أربعٌ وسبعون مرة .

٥– امرأة: مرة واحدة .

– تبيَّن لي أنَّ القرآن الكريمَ أطلق اسم الملك على الإنسان ليدلّ على تحقيق القدرة، وبيان القوة، ونفاذ الأوامر .

– اتَّضح لي أنَّه أطلق العزيز في مقام ذكر الطَّالبين المُتذلِّلين؛ ليدلّ على العِزَّة والمَنعة فيكون سبيلاً إلى قلبِ المقصودِ بالطَّلَب .

– خلصتُ إلى أنَّه لم يُطلق اسم فرعون إلا على فرعون موسى؛ لارتباط ذكر فرعون في القرآن الكريم بالظلم والتجبّر وادِّعاء الالوهيَّة .

– ظهر لي أنَّه أطلق اسم الرَّبّ على الملك عند الكلام عن ملوك مصر؛ لأنَّهم هكذا كانوا يُسمّون الملك، وفي مواطن الدّلالة على السّيِّد المُطاع الذي لا يُخالفه أحدٌ، ولا يمكن لأحدٍ إخفاء شيء عنه .

– اتَّضح أنَّه أطلق لفظ (امرأة) على ملكة سبأ؛ للدلالة على الاستغراب والتعجب، وإظهار ضعف رأي مُتَّخِذيها ملكةً.

المصادر والمراجع
بعد القُرآن الكريم

١. أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبدالله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت:٥٤٣هـ-١١٤٨م)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: ٩٨٢هـ- ١٥٧٤ م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلات .

٣. أساس البلاغة: أبو القاسم جارالله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ-١١٤٣م)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م.

٤. الانتصار للقرآن: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم القاضي الباقلاني المالكي (ت:٤٠٣هـ- ١٠١٣م)، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، ط١، دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم - بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م .

٥. الإيضاح في علوم البلاغة: أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت:٧٣٩هـ- ١٣٣٨ م)، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل، بيروت، بلات .

٦. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ- ١٣٤٤م)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٧. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي(ت:١٢٢٤هـ- ١٨٠٩م)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط١، القاهرة، ١٤١٩ هـ .

٨. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ-١٤١٥م)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦ هـ-١٩٩٦م.

٩. البلاغة العربية: عبدالرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي(ت:١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ط١، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

١٠. تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي): أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي(ت: ٣٣٣هـ- ٩٤٤ م)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م .

١١. تاج العروس من جواهر القاموس: أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى الزَّبيدي(ت: ١٢٠٥هـ-١٧٩٠م)، تحقيق: مجموعة من المحققين، بلاط، دار الهداية، بلات.

١٢. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت:١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م) ، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.

١٣. التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله، ابن جزي الكلبي الغرناطي(ت: ٧٤١هـ-١٣٤٠م)، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، ط١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت،١٤١٦هـ.

١٤. تفسير ابن باديس(في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير): عبدالحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت:١٣٥٩هـ-١٩٤٠م)، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٥. تفسير عبدالرزاق: أبو بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني(ت:٢١١هـ-٨٢٧م)، تحقيق: د. محمود محمد عبده، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٦. تفسير القرآن: منصور بن محمد بن عبدالجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي(ت: ٤٨٩هـ-١٠٩٦م)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، دار الوطن، الرياض، السعودية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٧. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني(ت:١٣٥٤هـ- ١٩٣٥م)، بلاط، الهيئة المصرية

العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٠م.
١٨. تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي(ت:٧٧٤هـ-١٣٧٣م)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
١٩. تفسير القرآن العظيم: عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم(ت:٣٢٧هـ-٩٣٨م)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط٣، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية،١٤١٩هـ.
٢٠. تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي(ت: ١٠٤هـ-٧٢٢م)، تحقيق: د. محمد عبدالسلام أبو النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر،١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
٢١. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي(ت:١٣٧١هـ-١٩٥٢م)، ط١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
٢٢. تفسير يحيى بن سلام: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي بالولاء، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت:٢٠٠هـ- ٨١٥م)، تحقيق: د. هند شلبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٣. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ-١٤١٥م)، بلاط، دار الكتب العلمية، بيروت، بلات.
٢٤. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي(ت: ٤٢٩هـ- ١٠٣٨م)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، بلاط، دار المعارف، القاهرة، بلات .
٢٥. جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت:٣١٠هـ- ٩٢٣م)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٢٦. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت:٦٧١هـ- ١٢٧٣م)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار

الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
٢٧. جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي(ت:٣٢١هـ-٩٣٣م)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
٢٨. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت:١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، بلاط، المكتبة العصرية، بيروت، بلات.
٢٩. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي(ت: ٨٧٥هـ-١٤٧١م)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨ هـ.
٣٠. دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر: أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني (ت:٤٧١هـ-١٠٧٨م)، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير، ط١، دار الفكر - عمان، الأردن، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م .
٣١. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي(ت: ٥٩٧هـ- ١٢٠١م)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ.
٣٢. الزاهر في معاني كلمات الناس: أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري(ت: ٣٢٨هـ-٩٤٠م)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م .
٣٣. سورة يوسف "دراسةٌ تحليليَّة": د. أحمد نوفل، ط١، دار الفرقان، عمَّان، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .
٣٤. الشفاء في بديع الاكتفاء: شمس الدين محمد بن حسن بن علي بن عثمان النَّوَاجي(ت: ٨٥٩هـ - ١٤٥٥ م)، تحقيق: د. محمود حسن أبي ناجي، ط١، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٤٠٣ هـ .
٣٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت: ٣٩٣هـ-١٠٠٣ م) ، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٣٦. فَتْحُ الْقَدِيرِ الْجَامِعُ بَيْنَ فَنَّيِ الرِّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني(ت:١٢٥٠هـ-١٧٣٤م)،ط١،دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت،

١٤١٤هـ.
٣٧. الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد العسكري(ت: ٣٩٥هـ-١٠٠٥م)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، بلات.
٣٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جارالله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري(ت:٥٣٨هـ-١١٤٣م)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
٣٩. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي(ت:٤٢٧هـ-١٠٣٥م)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢ م.
٤٠. الكليات(معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي(ت:١٠٩٤هـ- ١٦٨٣م)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، بلات.
٤١. لباب التأويل في معاني التنزيل: أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي الخازن(ت:٧٤١هـ-١٣٤١م)، تصحيح: محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٥ هـ.
٤٢. اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني(ت: ٧٧٥هـ- ١٣٧٣ م)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
٤٣. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي(ت: ٧١١هـ-١٣١١م)، تحقيق: أَحْمَد فَارس، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.
٤٤. لمسات بيانية في نصوصٍ من التنزيل: د. فاضل صالح السامرائي، ط٦، دار عمّار، الأردن، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م .
٤٥. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير الكاتب(ت:٦٣٧هـ - ١٢٣٩م)، تحقيق: محمد محي الدين عبد

الحميد، بلاط، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠ هـ .
٤٦. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى(ت:٥٠٢هـ-١١٠٨م)، تحقيق: د. عمر الطباع، ط١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤٢٠ هـ .
٤٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي(ت: ٥٤٢هـ-١١٤٨م)، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ .
٤٨. المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت:٤٥٨هـ- ١٠٦٦م)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
٤٩. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: (تفسير النسفي): أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي(ت: ٧١٠هـ- ١٣١٠م)، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م .
٥٠. المصطلحات الأربعة في القرآن: أبو الأعلى بن أحمد حسن المودودي(ت: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، تقديم: محمد عاصم الحداد، تخريج: محمد ناصر الدين الالباني، ط١، ١٩٥٥م .
٥١. المطوّل (شرح تلخيص مفتاح العلوم): سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني(ت: ٧٩٢هـ-١٣٩٠م)، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .
٥٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي(ت: ٥١٠هـ-١١١٧م)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
٥٣. معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران): جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت: ٩١١هـ-١٥٠٥م)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.
٥٤. معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، بمساعدة فريق عمل، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م .

٥٥. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبدالباقي، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٣٦٤هـ.

٥٦. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير):أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي(ت: ٦٠٦هـ-١٢١٠م)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.

٥٧. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى(ت:٥٠٢هـ- ١١٠٨م)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، بيروت، الدار الشامية - دمشق، ١٤١٢هـ.

٥٨. مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي(ت: ٣٩٥هـ-١٠٠٤م)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٥٩. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: أبو جعفر أحمد ابن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي(ت:٧٠٨هـ- ١٣٠٨م)، تحقيق: عبدالغني محمد علي الفاسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، بلات.

٦٠. من بلاغة القرآن: د.أحمد أحمد عبدالله البيلي البدوي(ت:١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، ط١، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م .

٦١. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي(ت: ٥٩٧هـ- ١٢٠١م). تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٦٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي(ت:٨٨٥هـ-١٤٨٠م)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٦٣. النكت والعيون (تفسير الماوردي): أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي(ت:٤٥٠هـ- ١٠٥٨م)، تحقيق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، بلات.

٦٤. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير(ت: ٦٠٦هـ-١٢١٠م)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد

الطناحي، ط١، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٦٥. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي(ت:٤٣٧هـ-١٠٤٥م)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ط١، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م.
٦٦. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت:٤٦٨هـ- ١٠٧٦م)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط١، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٥ هـ.

❊ ❊ ❊